فقه الحديث النبوي الشريف في سبق الكتاب و قوله ﷺ (وإنما الأعمال بالخواتيم)

الأستاذ الدكتور/ مسعود بن بشير المحمدي
الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طيبة بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من خصائص العقيدة الإسلامية أنها توقيفية لا تأخذ إلا الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة بفهم علماء سلف الأمة، وهذا يحتم على كل عالم وطالب علم دراسة نصوص الكتاب والسنة وفهمها بفهم علماء السلف، ويأتي هذا البحث إسهاماً في هذا الباب من خلال دراسة حديث نبوي عظيم، وهو حديث (سبق الكتاب)، والذي أرشد إلى العديد من مسائل الاعتقاد، خاصة في باب الإيمان بالقضاء والقدر.

ولعل هذا الجهد العلمي أن يكون نافعاً لأهل العلم وعامة المسلمين في فهم هذا الحديث ومعرفة ما أرشد إليه من مسائل في العقيدة، سائلاً الله القبول وجزيل الثواب.

أهمية الموضوع:

هذا البحث في شرح حديث عظيم، يحث على صدق الإيمان بالقضاء والقدر، والثقة بالله، وحسن التوكل عليه، وكمال حسن الظن به، ويحث على الإخلاص لله، والصدق معه سبحانه، والاجتهاد في عمل الصالحات، والثبات على ذلك.

وهو حديث تضمن مسائل كثيرة متعلقة بركن من أركان الإيمان الستة، وهو ركن الإيمان بالقضاء والقدر، ومعرفة مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

سبب اختيار الموضوع:

إن هذا الحديث يذكره الوعاظ كثيراً، فالعامة يسمعونه مراراً، ولابد من فهمه على الوجه الذي أراده النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولا يتأتى هذا إلا بمعرفة فهم علماء السلف له، وقد لاحظت أن بعض الأفهام أخطأت في فهمه سواء بعض الواعظين أو ممن فهم من العامة، فهموا خطأً من بعض الوعاظ، فرأيت أن أشرح هذا الحديث، وأبين الفهم الصواب

إن شاء الله لجمله، وأذكر ما دل عليه من مسائل عقدية، مع ما آمله من إفادة القارئ له في زيادة الإيمان، والاجتهاد في عمل الصالحات، والإخلاص لله في ذلك، والصدق معه سبحانه.

الدراسات السابقة:

الحديث مشروح في كتب السنة إجمالاً وليس مفرداً بدراسة خاصة، ولم أطلع على دراسة خاصة بهذا الحديث.

منهجي في البحث:

سأعتمد في كتابة هذا البحث على النهج الآتي:

١- الاستفادة من المنهج الاستنباطي في استنباط الأحكام من الحديث.

٢- سأفيد من المنهج الاستقرائي في جمع روايات الحديث وألفاظه، وكلام أهل العلم الذين شرحوا هذا الحديث أو استدلوا به في باب من أبواب العلم.

٣- تخريج الحديث وجمع ألفاظه وجمع رواياته.

٤- شرح الحديث إجمالاً.

٥- ذكر المسائل العقدية العامة المستنبطة من الحديث.

٦- بيان المسائل العقدية المتعلقة بركن الإيمان بالقضاء والقدر.

خطة البحث:

مقدمة البحث، واشتملت على أهمية اختيار الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: الدراسة الحديثية، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تخريج الحديث، وجمع رواياته، وشواهده.

المبحث الثاني: شرح الحديث إجمالاً.

المبحث الثالث: سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث.

المبحث الرابع: من هو الرجل صاحب القصة؟

المبحث الخامس: لماذا لم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة الصحابة، ولماذا لم ينههم عن بحث أمره؟

المبحث السادس: ما المقصود بالكتاب وسبقه؟

المبحث السابع: فقه رواية (فيما يبدو للناس).

الفصل الثاني المسائل العقدية في الحديث، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مسائل عقدية عامة:

١- خطر الرياء والسمعة
٢- أهمية صلاح السريرة
٣- علامات السعادة وعلامات الشقاء.
٤- هل يمكن تحصيل حسن الخاتمة، وهل يمكن النجاة من سوئها
٥- لسنا مطالبين بالتنقيب عن البواطن.
٦- هل يعني الختم بالسوء الخلود في النار.
٧- هل يجوز الحكم على المعين حسب ظاهره.
٨- حسن الظن بالله.

المبحث الثاني مسائل الإيمان بالقضاء والقدر في الحديث:
١- عدله وفضله سبحانه وتعالى ظاهر في الحديث.
٢- وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.
٣- ما دل عليه الحديث من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر
٤- هل يعني الحديث ترك العمل

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس.

الفصل الأول: الدراسة الحديثية

المبحث الأول: تخريج الحديث وجمع رواياته وشواهده:

١- تخريج الحديث:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة». رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد في مسنده(١).

٢- جمع روايات الحديث.

في لفظ عند البخاري برقم (٤٢٠٧) زيادة: [فقال رسول الله: «إنه من أهل النار»، فقالوا: أينا من أهل الجنة، إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه – إلى أن قال– فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: «وما ذاك» فأخبره، فقال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ...].

وفي لفظ عند البخاري برقم (٦٤٩٣) في أوله [نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا» – إلى أن قال– «إن العبد ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها».

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٨)، و(٤٢٠٧)، و(٦٤٩٣)، و(٦٦٠٧)، ومسلم في صحيحه رقم (١١٢)، والإمام أحمد في المسند (٣٣١/٥).

وفي لفظ عند البخاري برقم (٦٦٠٧) [قال الرجل: فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه].

وعند أحمد في المسند ٣٣١/٥: [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه من أهل النار قلنا: في سبيل الله مع رسول الله، الله ورسوله أعلم].

٣- شواهد الحديث:

١-حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها). رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما(١).

٢-حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة). رواه مسلم في صحيحه(٢).

٣-حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة فمات فدخلها). رواه أحمد في المسند، وأبو يعلى في المسند(٣). وسنده صحيح.

٤-حديث أكثم بن أبي الجون رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، فلان يجري في القتال؟ قال: «هو في النار» قال: قلنا: يا رسول الله، إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار، فأين نحن؟ قال: «إنما ذلك إخبات النفاق، وهو في النار» قال: كنا نتحفظ عليه في القتال، كان لا يمر به فارس، ولا راجل إلا وثب عليه، فكثر عليه جراحه،

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٣).
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٦٥١).
(٣) رواه أحمد في المسند (١٠٧/٦)، وأبو يعلى في المسند (١٢٨/٨).

فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله، استشهد فلان، قال: «هو في النـــار» فلما اشتد به ألم الجراح أخذ سيفه فوضعه بين ثدييه، ثم اتكأ عليه حتى خرج مـــن ظهـــره، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: أشهد أنك رسول الله، فقال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، وإن الرجـــل ليعمـــل بعمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة تدركه الشقوة أو السعادة عند خروج نفسه، فيختم لـــه بها». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في معرفة الصحابة[١]. وقال الهيثمـــي في مجمع الزوائد: إسناده حسن[٢].

المبحث الثاني: شرح الحديث.

قوله: (التقى هو والمشركون) قيل في غزوة خيبر وقيل في أُحد، وقوله: (فلما مال رســـول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره) أي: رجع بعد فراغ القتال في ذلـــك اليـــوم، وقولـــه: (شاذة ولا فاذة) الشاذة: بتشديد المعجمة ما انفرد عن الجماعة، وبالفاء مثله ما لـــم يخـــتلط بهم، قال القاضي عياض رحمه الله أنث الكلمة على معنى النسمة أو تشبيه الخارج بـــشاذة الغنم ومعناه أنه لا يدع أحدا على طريق المبالغة قال بن الأعرابي يقال فلان لا يدع شـــاذة ولا فاذة إذا كان شجاعا لا يلقاه أحد إلا قتله، وسيأتي اسم هذا الرجل، وقوله: (ما أجزأ منـــا اليوم أحد ما أجزأ فلان) مهموز معناه ما أغنى وكفى أحد غناءه وكفايته، قوله: (فقال رجل من القوم أنا صاحبه) معناه: أنا أصحبه في خفية وألازمه لأنظر السبب الذي به يصير من أهل النار؛ فإن فعله في الظاهر جميل وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مـــن أهـــل النار، فلا بد له من سبب عجيب، وهذا الرجل هو أكثم بن أبي الجون، قوله (ووضع ذُباب السيف) هو بضم الذال وتخفيف الباء الموحدة المكررة وهو طرفه الأســـفل وأمـــا طرفـــه الأعلى فمقبضه، وقوله: (بين ثَدييه) هو تثنية ثَدي بفتح الثاء وهو يُذَكّر على اللغة الفصيحة التي اقتصر عليها الفراء وثعلب وغيرهما وحكى ابن فارس والجـــوهري وغيرهمـــا فيـــه التذكير والتأنيث، قال ابن فارس: الثدي للمرأة ويقال لذلك الموضع من الرجل ثندوة وثندؤة بالفتح بلا همزة وبالضم مع الهمزة، وقال الجوهري: والثدي للمرأة وللرجل، فعلـــى قـــول ابن فارس يكون في هذا الحديث قد استعار الثدي للرجل. وجمع الثدي أثـــد وثُـــدِي وثِـــدِي بضم الثاء وكسرها.[٣]

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٦/١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٤١/١).
(٢) مجمع الزوائد (٢١٤/٧).
(٣) فتح الباري (٤٧٢/٧-٤٧٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٢٣/٢-١٢٤).

قال النووي: وأما قوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار وهو من أهل الجنة) ففيه التحذير من الاغترار بالأعمال وأنه ينبغي للعبد أن لا يتكل عليها ولا يركن إليها مخافة من انقلاب الحال للقدر السابق وكذا ينبغي للعاصي أن لا يقنط، ولغيره أن لا يقنطه من رحمة الله تعالى[١]

وذكر ابن حجر أن قوله صلى الله عليه وسلم: (ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس) محمول على المنافق والمرائي.[٢]

المبحث الثالث: سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث.

جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وغيره كما في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا في غزوة، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه من أهل النار».. الحديث.

قال العلامة برهان الدين ابن حمزة الدمشقي رحمه الله: سببه كما في البخاري عن سهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا ... الحديث[٣].

المبحث الرابع: من هو الرجل صاحب القصة؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هو قزمان[٤].

وقال في موضع آخر: قوله (وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل) وقع في كلام جماعة ممن تكلم على هذا الكتاب -يعني صحيح البخاري- أن اسمه قزمان -بضم القاف وسكون الزاي- الظفري -بضم المعجمة والفاء- نسبة إلى بني ظفر، بطن من الأنصار، وكان يكنى أبا الغيداق بمعجمة مفتوحة وتحتانية ساكنة وآخره قاف[٥].

وقال في موضع آخر: قال النووي تبعا لغيره: لا يعرف اسمه، وسبقهم إلى ذلك أبو أحمد الحاكم في الكنى، لكن حكى أبو داود في السنن في روايته لهذا الحديث عن القعنبي شيخه فيه أن اسمه قزمان[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٢٦/٢).
(٢) فتح الباري (٤٨٧/١١).
(٣) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث (١٩٧/١).
(٤) فتح الباري (٢٩٠/١).
(٥) فتح الباري (٤٧٢/٧).
(٦) فتح الباري (٣٨٦/٤).

وقال في موضع آخر: جزم ابن الجوزي في مشكله بأن اسم الرجل قزمان الظفري، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد، فعيره النساء فخرج حتى صار في الصف الأول، فكان أول من رمى بسهم ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فمر به قتادة بن النعمان فقال له هنيئا لك بالشهادة قال والله إني ما قاتلت على دين وإنما قاتلت على حسب قومي ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه قلت –يعني ابن حجر–: وهذا الذي نقله أخذه من مغازي الواقدي وهو لا يحتج به إذا انفرد[1]. اهـ.

وقال النووي رحمه الله: وهذا الرجل الذي كان لا يدع شاذة ولا فاذة اسمه قزمان، قاله الخطيب البغدادي قال وكان من المنافقين[2].

ونقل السيوطي عن ابن بشكوال أنه قزمان الظفري، ويكنى أبا الغيداق[3].

وقد سماه كذلك جماعة من أهل العلم كأبي الوليد الباجي في المنتقى، وابن الجوزي في كشف المشكل، وبدر العيني في عمدة القاري، والشوكاني في نيل الأوطار، وغيرهم[4].

المبحث الخامس: لماذا لم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة الصحابة، ولما لم ينههم عن بحث أمره؟

يستفاد ذلك من قول الراوي: (وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل، لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان).

قال النووي: الشاذ والشاذة الخارج والخارجة عن الجماعة، قال القاضي عياض: أنث الكلمة على معنى النسمة أو تشبيه الخارج بشاذة الغنم، ومعناه أنه لا يدع أحدا على طريق المبالغة، قال ابن الأعرابي: يقال فلان لا يدع شاذة ولا فاذة إذا كان شجاعا لا يلقاه أحد إلا قتله، وقوله (ما أجزأ منا اليوم أحد ما أجزأ فلان) معناه: ما أغنى وكفى أحد غناءه وكفايته[5].

وقال الخطابي: الشاذة هي التي كانت في القوم ثم شذت منهم، والفاذة من لم يختلط معهم أصلا، فوصفه بأنه لا يبقي شيئا إلا أتى عليه، وقال الداودي: الشاذة والفاذة ما صغر وكبر ويركب كل صعب وذلول[6].

(١) فتح الباري (٤٧٢/٧).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٢٣/٢).
(٣) شرح صحيح مسلم للسيوطي (١٢٦/١).
(٤) المنتقى شرح الموطأ (٢٠١/٣)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٧٢/٢)، عمدة القاري (١٨١/١٤)، نيل الأوطار (٢٦٥/٧).
(٥) شرح صحيح مسلم (١٢٣/٢).
(٦) عمدة القاري (١٨١/١٤).

قال ابن الملقن رحمه الله: اعترض المهلب فقال: في الحديث ضد ما ترجم به البخاري أنه لا يقال: فلان شهيد، ثم أدخل هذا الحديث وليس فيه من معنى الشهادة شيء، وإنما فيه ضدها، والمعنى الذي ترجم به قولهم: (ما أجزأ منا اليوم أحد، ما أجزأ فلان)، فمدحوا جزاءه وغناءه، ففهم منهم أنهم قضوا له بالجنة في نفوسهم بغنائه ذلك، فأوحى الله إليه بغيب مآل أمره لئلا يشهدوا لحي شهادة قاطعة عند الله ولا لميت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عثمان بن مظعون: "والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به"، وكذلك لا يعلم شيئا من الوحي حتى يوحى إليه به، ويعرف بغيبه فقال: "إنه في النار" بوحي من الله له[1].

وقال القرطبي رحمه الله: قوله (فأعظم الناس ذلك) أي: عظموه وكبر عليهم؛ وإنما كان ذلك؛ لأنهم نظروا إلى صورة الحال، ولم يعرفوا الباطن ولا المآل، فأعلم العليم الخبير البشير النذير بمغيب الأمر وعاقبته، وكان ذلك من أدلة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته، ففيه التنبيه على ترك الاعتماد على الأعمال، والتعويل على فضل ذي العزة والجلال[2].

وقال العيني في قول البخاري (باب لا يقول: فلان شهيد) مطابقته -يعني حديث الباب- للترجمة من حيث إن الصحابة لما شهدوا برجحان هذا الرجل في أمر الجهاد كانوا يقولون: إنه شهيد لو قتل، ثم لما ظهر منه أنه لم يقاتل لله وأنه قتل نفسه، علم أنه لا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد قطعا، لاحتمال أن يكون مثل هذا، وإن كان يعطي له حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة[3].

قال الشوكاني: وأما مقاتلة قزمان مع المسلمين فلم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أذن له بذلك في ابتداء الأمر، وغاية ما فيه أنه يجوز للإمام السكوت عن كافر قاتل مع المسلمين[4].

المبحث السادس: ما المقصود بالكتاب وسبقه؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "هذا الحديث ونحوه فيه فصلان: أحدهما: القدر السابق وهو أن الله سبحانه علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال، وهذا حق يجب الإيمان به؛ بل قد نص الأئمة: كمالك والشافعي وأحمد أن من جحد هذا فقد كفر؛ بل يجب الإيمان أن الله علم ما سيكون كله قبل أن يكون ويجب الإيمان بما أخبر به من أنه

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦١٠/١٧).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣١٨/١).
(٣) عمدة القاري (١٨٠/١٤).
(٤) نيل الأوطار (٢٦٥/٧).

كتب ذلك وأخبر به قبل أن يكون كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)[١]. وفي صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)[٢]، وفي لفظ: (ثم خلق السموات والأرض)[٣]، وفي المسند عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام)[٤]، وفي حديث ميسرة الفجر: قلت: (يا رسول الله متى كتبت نبيا؟ –وفي لفظ– متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد)[٥]. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم –وهو الصادق المصدوق–: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح – قال: فوالذي نفسي بيده أو قال فوالذي لا إله غيره – إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار)[٦]. وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٥٣).
(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٩١).
(٣) صحيح البخاري رقم (٧٤١٨).
(٤) مسند أحمد (١٢٧/٤).
(٥) مسند أحمد (٥٩/٥).
(٦) صحيح البخاري رقم (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، صحيح مسلم رقم (٢٦٤٣).

وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠} [سورة الليل:٥-١٠])[١]. وفي الصحيح أيضا أنه قيل له: (يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار فقال: نعم. قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له)[٢].

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله علم أهل الجنة من أهل النار وأنه كتب ذلك ونهاهم أن يتكلوا على هذا الكتاب ويدعوا العمل كما يفعله الملحدون. وقال: كل ميسر لما خلق له وإن أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة وهذا من أحسن ما يكون من البيان.

والفصل الثاني: أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه وهو قد جعل للأشياء أسبابا تكون بها فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب كما يعلم أن هذا يولد له بأن يطأ امرأة فيحبلها فلو قال هذا: إذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة إلى الوطء كان أحمق؛ لأن الله علم أن سيكون بما يقدره من الوطء وكذلك إذا علم أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب فلو قال: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر كان جاهلا ضالا؛ لأن الله علم أن سيكون بذلك وكذلك إذا علم الله أن هذا يشبع بالأكل وهذا يروى بالشرب وهذا يموت بالقتل فلا بد من الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها"[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما كون الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فإن هذا عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، ولو كان عملا صالحا مقبولا للجنة قد أحبه الله ورضيه لم يبطله عليه. وقوله (لم يبق بينه وبينها إلا ذراع) يشكل على هذا التأويل، فيقال: لما كان العمل بآخره وخاتمته، لم يصبر هذا العامل على عمله حتى يتم له، بل كان فيه آفة كامنة ونكتة خذل بها في آخر عمره، فخانته تلك الآفة والداهية الباطنة في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها، وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه ... والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض"[٤].

وقال بدر الدين العيني: "قيل: هذا رجل ظاهر الإسلام قتل نفسه، وظاهر النداء عليه يدل على أنه كان ليس مسلما، والمسلم لا يخرجه قتل نفسه عن كونه مسلما فلا يحكم بكفره، ويصلى عليه. وأجيب: عن ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم اطلع من أمره على سره: فعلم بكفره لأن الوحي عنده عتيد"[٥].

---

(١) صحيح البخاري رقم (١٣٦٢، ٤٩٤٨، ٤٩٤٩)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٤٧).

(٢) صحيح البخاري رقم (٧٥٥١)، وصحيح مسلم رقم (٢٦٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٦/٨-٦٨).

(٤) الفوائد (ص ١٦٣).

(٥) عمدة القاري (٣٠٨/١٤).

المبحث السابع: فقه رواية "فيما يبدو للناس".

قال ابن رجب الحنبلي: قوله (فيما يبدو للناس) إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفيه من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة... وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا، وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون ماذا سبق لنا [1].

وقال القرطبي: قوله (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس) دليل على أن ذلك الرجل لم يكن مخلصا في جهاده، وقد صرح الرجل بذلك فيما يروى عنه أنه قال: إنما قاتلت عن أحساب قومي، فيتناول هذا الخبر أهل الرياء. فأما حديث أبي هريرة الذي قال فيه: (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له بعمل أهل النار فيدخلها) فإنما يتناول من كان مخلصا في أعماله، قائما بها على شروطها، لكن سبقت عليه سابقة القدر، فبدل به عند خاتمته[2].

وقال العيني: قوله: (فيما يبدو) أي: فيما يظهر. قال الكرماني: فإن قلت: القتل هو معصية والعبد لا يكفر بالمعصية فهو من أهل الجنة لأنه مؤمن؟ قلت: لعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، علم بالوحي أنه ليس مؤمنا، أو أنه سيرتد حيث يستحل قتل نفسه، أو المراد من كونه من أهل النار: أنه من العصاة الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها. انتهى. قلت: لو اطلع الكرماني على أنه كان معدودا في المنافقين، أو على قوله: قاتلت على دين، لما تكلف بهذه الترديدات[3].

وقال ابن الملقن: ووصفه الرجل بأنه من أهل النار يحتمل أمورا:

أحدها: لنفاقه في الباطن ويؤيده ما أسلفناه.

ثانيها: أنه لم يكن ليقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ثالثها: أنه ارتاب عند الجزع فمات على شك.

رابعها: أنه لم يبلغ به الجراح إلى أن أنفذت مقاتله ليكون كمن استسرع الموت[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٥٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣١٩/١).

(٣) عمدة القاري (١٨١/١٤).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٦١٠/١٧.

الفصل الثاني: المسائل العقدية في الحديث

المبحث الأول: مسائل عقدية عامة:

١- خطر الرياء والسمعة.

الرياء خطره عظيم جدا على الفرد والمجتمع والأمة؛ لأنه يحبط العمل والعياذ بالله ويظهر خطره في الأمور الآتية:

١- الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»(١).

٢- الرياء أشد فتكا من الذئب في الغنم، قال صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنمٍ بأفسد من حرص المرء على المال والشرف لدينه» (٢)، وهذا مثل ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال، وذلك بأن يشغله عن طاعة الله، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.

٣- الرياء يذهب بركة الأعمال الصالحة، ويبطلها، قال تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾} [سورة البقرة:٢٦٦]. فهذا العمل الصالح أصله كالبستان العظيم كثير الثمار، فهل هناك أحد يحب أن تكون له هذه الثمار والبستان العظيم ثم يرسل عليها الرياء فيمحقها محقا، وهو في أشد الحاجة إليها!! ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»(٣).

٤- الرياء يسبب عذاب الآخرة، ولهذا أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان كريم متصدق. ولم تكن أعمالهم خالصة لله تعالى، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن

(١) رواه أحمد في المسند (٣٠/٣)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٢٠٤). وسنده حسن.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤٥٦/٣)، والترمذي في سننه رقم (٢٣٧٦)، والدارمي في سننه رقم (٢٧٣٠). وسنده صحيح.

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٩٨٥).

يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[1].

٥- الرياء يورث الذل والصغار والهوان والفضيحة، قال صلى الله عليه وسلم: «من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[2].

٦- الرياء يحرم ثواب الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»[3].

٧- الرياء سبب في هزيمة الأمة، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[4]. وهذا يبين أن الإخلاص لله سبب في نصر الأمة على أعدائها وأن الرياء سبب في هزيمة الأمة!

٨- الرياء يزيد الضلال، قال الله تعالى عن المنافقين: {يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠} [سورة البقرة:٩-١٠].

٢- أهمية صلاح السريرة.

الآيات القرآنية التي تدل على صلاح السريرة وفسادها كثيرة منها: قول الله تعالى: {قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٩} [سورة آل عمران:٢٩]، وقوله: {يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩} [سورة غافر:١٩].

والأحاديث النبوية مستفيضة في هذا الباب، فمنها:

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٠٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٤٩٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٨٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٣٤/٥)، والحاكم في المستدرك (٣٤٦/٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٣).

(٤) رواه النسائي في سننه رقم (٣١٧٨)، وفي السنن الكبرى (٣٠/٣) رقم (٤٣٨٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٨٨).

١- قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)[١].

٢- وقوله عليه الصلاة والسلام: (إنّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٢].

وأما أقوال السلف الصالح فمنها:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من صلّى صلاة والناس ينظرون إليه، فإذا خلا فليصلّ مثلها، فإن لم يفعل فإنّه استهانة يستهين بها ربه، ألا يستحي أن يكون الناس أعظم في عينه من الله تعالى[٣].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، وقيل له وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع[٤] .

وقال بلال بن سعد رحمه الله: لا تكن وليا لله في العلانية، وعدوه في السر[٥].

وقال الحسن البصري رحمه الله: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج[٦] .

وقال ابن الجوزي رحمه الله: العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وإن غضب الخلق، وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلب الذي قصد أن يرضيه فيسخطه عليه[٧].

والوسائل المعينة لإصلاح السريرة كثيرة، فمنها:

أ- الخلوة المشروعة: إنه لا بدّ للعبد من أوقات يخلو بها مع نفسه، يذكره ويناجيه، ويحاسب نفسه ويعاتبها، ويتدبّر ويتفكّر، وإلا وقع في شراك الغفلة، وقساوة الخلطة. ودليله قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)[٨].

ب- المراقبة: وهي أن يتيقّن العبد بأنّ الله تعالى مطلع عليه، وأنه لا تخفى عليه خافية، مهما بالغ العبد في إخفائها؛ قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤} [سورة التغابن:٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٢)، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٦٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٧/٥).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠٩/٢٠).

(٥) حلية الأولياء (٢٢٨/٥).

(٦) جامع العلوم والحكم (٤٩٠/٢).

(٧)صيد الخاطر (٢٦٦-٢٦٧).

(٨) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠)، ومسلم في صحيحه رقم (١٠٣١).

ج- تذكّر المساءلة بين يدي الرب عزّ وجلّ: فيتذكر العبد موقف الحساب والعرض على ربّ الأرباب؛ قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [سورة الحاقة:١٨].

د- التوبة: فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فيتوب العبد توبة نصوحا خاصّة لله تعالى، يقلع معها عن معاصيه، ويندم على ما سلف في ماضيه، ويعزم على ألاّ يعود.

ه- الإكثار من الأعمال الصالحة في السرّ والعلن والاشتغال بما ينفع: فالأعمال الصالحة من المحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل، والمداومة على الذّكر سبب في الهداية والتوفيق، والمحبّة والحفظ من الله ربّ العالمين؛ قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ} [سورة يونس:٩]، وقال: {وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾} [سورة العنكبوت:٦٩].

و- الدعاء: فيكثر العبد من الدعاء والتضرّع لله عزّ وجلّ أن يصلح سريرته، ويطهر باطنه ويتحرّى بذلك أوقات الإجابة، وأسباب الاستجابة. ومن تلك الأدعية: قوله تعالى: {رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾} [سورة إبراهيم:٣٨]، وقوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾} [سورة آل عمران:٨].

ومما ورد في السّنة المطهّرة عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهّد والتسليم: (اللهمّ اغفر لي ما قدمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت به أعلم مني، أنت المقدّم وأنت المؤخّر لا إله إلا أنت) (١).

٣- علامات السعادة وعلامات الشقاء.

لفظا السعادة والشقاء ليسا هما ما نحسه في الدنيا من سعادة، وما يصيبنا فيها من شقاء، بل هما الإسلام والكفر، وهما الطريقان إلى الجنة والنار، والمقصود به في الشرع: ما يختم للإنسان بأحد الأمرين في الدنيا، فمن ختم له بخير فهو سعيد، وهو من أهل السعادة، وجزاؤه الجنة، ومن ختم له بشرٍّ فهو شقي، وهو من أهل الشقاء، ومصيره النار -والعياذ بالله-.

وقد جاء هذا اللفظان في الكتاب والسنّة بذات المعنى قال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ *وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٧٧١).

سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾} [سورة هود:١٠٥-١٠٨].

وعن علي بن أبي طالب قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «ما من نفس منفوسة إلاّ وقد كتب الله مكانها من الجنّة والنّار، وإلاّ وقد كتبت شقيّة أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول اللّه أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له، أمّا أهل السّعادة فييسّرون لعمل أهل السّعادة، وأمّا أهل الشّقاوة فييسّرون لعمل أهل الشّقاوة»، ثمّ قرأ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ...} [سورة الليل:٥-١٠] (١).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وقد تكاثرت النصوص بذكر الكتاب السابق، بالسعادة والشقاوة، -ثم ذكر حديث علي السابق ثم قال-: ففي هذا الحديث أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما، وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال، وأن كلاً ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب للسعادة أو الشقاوة، وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: (كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له) (٢). وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وحديث ابن مسعود فيه أن السعادة والشقاوة بحسب خواتيم الأعمال(٣) .

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: من علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره. وكلما زيد في عمره نقص من حرصه. وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله. وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم. وعلامات الشقاوة أنه كلما زيد في علمه زيد في كبره وتيهه، وكلما زيد في عمله زيد فخره واحتقاره للناس وحسن ظنه بنفسه، وكلما زيد في عمره زيد في حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في بخله وإمساكه، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في كبره وتيهه، وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلي بها عباده فيسعد بها أقوام ويشقى بها أقوام. وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء، كالملك والسلطان والمال. قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده {هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [سورة النمل:٤٠]. فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٣٦٢)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٣٩).
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٩٦)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٤٩).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٦٨-١٦٩).

شكر الشكور وكفر الكفور. كما أن المحن بلوى منه سبحانه، فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب، قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ...} [سورة الفجر:١٥-١٧]. أي ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمته يكون ذلك إكراما مني له، ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك إهانة مني له[١].

٤- هل يمكن تحصيل حسن الخاتمة، وهل يمكن النجاة من سوئها؟

من وفقه الله سبحانه وتعالى في حياته بالاستقامة على طاعته، والإقبال على الأعمال الصالحة، والإعراض عما يغضب الله سبحانه، واستمر في ذلك إلى آخر حياته، ثبته الله عند مماته، ورزقه حسن الخاتمة، وبشرته ملائكة الرحمة برضا الله، واستحقاق كرامته وجنته، كما قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة فصلت:٣٠].

فعن عمرو بن الحمق، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: إذا أراد الله تعالى بعبده خيرا عسّله، فسأله بعض القوم: وما عسّله يا رسول الله؟ قال: يهديه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه)[٢].

أما من أعرض عن ربه، وأغفل قلبه عن ذكره، وعطل جوارحه عن عبادته وطاعته، وعكف على معصيته حتى لقي الله على تلك الحالة السيئة، فسيكون أمره فرطا، ويظفر به الشيطان عند موته، وتكون سوء خاتمته، فتبشره ملائكة العذاب بسخط الله وعقابه.

فقد جاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه)[٣].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة، فيكون ممن قال الله فيه: {وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا} [سورة الفرقان:٢٩]، وسوء الخاتمة –أعاذنا الله منها– لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الإشبيلي، وإنما يقع سوء الخاتمة

(١) الفوائد (ص ١٥٥).

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٢/٨) رقم (٣٠٨٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٠٧)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت.

لمن فسد باطنه عقدا، وظاهره عملا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة[١].

٥- لسنا مطالبين بالتنقيب عن البواطن.

روى البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة، فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكفَّ عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لي: يا أسامة، أقتلْتَه بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذًا، فقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فمازال يُكرِّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[٢].

وفي رواية لمسلم: قال أسامة: (قلتُ يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فمازال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ)[٣].

هذا الحديث والموقف النبوي مع أسامة بن زيد رضي الله عنه فيه دلالة واضحة على وجوب الحكم بالظاهر، والتحذير الشديد من تجاوز الظاهر إلى السرائر، والحكم على ما في القلوب دون بينة ودليل.

قال الخطابي رحمه الله: فيه من الفقه أنَّ الكافر إذا تكلَّم بالشهادة وإن لم يصف الإيمان وَجَبَ الكَفُّ عنه والوقوف عن قتله سواء أكان بعد القدرة أم قبلها[٤].

وقال ابن حجر رحمه الله: وفيه دليل على ترتُّب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة[٥].

وقال النووي: وقوله: (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟) الفاعل في قوله أقالها: هو القلب، ومعناه أنك إنما كُلِّفْتَ بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال: (أفلا شققت عن قلبه) لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب، يعني وأنتَ لست بقادرٍ على هذا فاقتصر على اللسان فحسب، يعني ولا تطلب غيره. وقوله صلى الله عليه وسلم (أفلا شققت عن قلبه) فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يُعمل فيها بالظواهر، والله يتولى السرائر، وقول أسامة:

(١) البداية والنهاية (١٦٣/٩).
(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٦٩).
(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٩٦).
(٤) معالم السنن (٢٧٠/٢).
(٥) فتح الباري (١٩٦/١٢).

(حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ) معناه: لم يكن تقدم إسلامي، بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم، وقال هذا الكلام من عِظم ما وقع فيه[١].

الحديث الثاني: روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله، وذلك لما قسَّم النبي صلى الله عليه وسلم ذهيبة (قطعة ذهب صغيرة) بعث بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن على المؤلفة قلوبهم، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (.. وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم[٢].

قال النووي: معناه إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر [٣].

وقال ابن حجر: كلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر[٤].

وقال الشوكاني: (لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس (فإن ذلك يدل على قبول ظاهر التوبة وعصمة من يصلي، فإذا كان الزنديق قد أظهر التوبة وفعل أفعال الإسلام كان معصوم الدم[٥].

الحديث الثالث: عن عبيد الله بن عدي رضي الله عنه قال: (إن رجلًا سارَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلمه سراً)، فلم ندْرِ ما سارَّه به حتى جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يستأمر في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال الأنصاري: بلي يا رسول الله، ولا شهادة له، قال: أليس يشهد أن محمداً رسول الله؟ قال بلي ولا شهادة له، قال: أليس يصلي؟ قال بلى ولا صلاة له، قال: أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم[٦].

قال القاضي عياض: "وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل لظهورها (بالشهادة الشرعية)" [٧].

وقال الشوكاني: وفيه دلالة على أن الواجب المعاملة للناس بما يُعرف من ظواهر أحوالهم من دون تفتيش وتنقيش، فإن ذلك مما لم يتعبدنا الله به، ولذلك قال: (إني لم أومر أن أنقب

(١) شرح صحيح مسلم (١٠٤/٢).
(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٦٣/٧).
(٤) فتح الباري (٢٧٣/١٢).
(٥) نيل الأوطار (٣٦٠/١).
(٦) رواه مالك في الموطأ رقم (٤١٣)، وأحمد في المسند (٤٣٢/٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٩/١٣) رقم (٥٩٧١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/١): رجاله رجال الصحيح. وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١٢٥/١).
(٧) شرح الشفا للقاضي عياض (٤١٩/٢).

عن قلوب الناس)، وقال لأسامة لما قال له: إنما قال ما قال يا رسول الله تقية يعني الشهادة: (هل شققت عن قلبه؟)، واعتباره صلى الله عليه وسلم لظواهر الأحوال كان ديدناً له في جميع أموره.(١)

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إن المنافقين الذي قالوا: {ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [سورة البقرة:٨]، هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم، كما كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر، لا في مناكحتهم، ولا موارثتهم، ولا نحو ذلك، بل لما مات عبد الله بن أبي سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله، وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين".(٢)

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من اطلاعه على أحوال المنافقين وما تسره أفئدتهم بوحي من الله تعالى له، يعاملهم معاملة المسلمين دون أي تفريق في الأحكام الشرعية العامة، وهذا لا ينافي أن يكون المسلمون في حذرٍ دائم من المنافقين ومؤامراتهم وكيدهم.

هذه المواقف والأمثلة من السيرة النبوية تبين بجلاء أنه ينبغي على المسلم أن يعامل الناس بما يظهر من أقوالهم وأفعالهم، ويترك سريرتهم إلى الله تعالى، وأن المعاملات والأحكام الفقهية والقضائية في هذه الدنيا تجري على مقتضى شرائع الإسلام الموضوعة للعباد وعلى ما يظهر منهم من أفعالهم وأقوالهم، دون إيغال في النيات، أو تحسس في المقاصد.

٦- هل يعني الختم بالسوء الخلود في النار.

قال العلامة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله: إذا مات العاصي وهو يسمع الغناء، أو يُغني، فهذا نقصٌ في الإيمان، يدل على ضعفٍ في الإيمان، ولا يدل على أنه كافر، ما يكون كافرًا، يكون ضعيف الإيمان، ناقص الإيمان، إذا كان مُوحِّدًا مسلمًا، وهو تحت مشيئة الله: إن شاء الله غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذَّبه على قدر المعاصي التي مات عليها، كما قال الله سبحانه: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [سورة النساء:٤٨]، فما دون الشرك من المعاصي تحت مشيئة الله، فإذا زنا نقص إيمانه، وإذا سرق ضعف إيمانه، وإذا كذب نقص إيمانه، وإذا اغتاب نقص إيمانه، وإذا تعاطى شيئًا من الربا نقص إيمانه وضعف إيمانه، وإذا تاب زاد إيمانه، ورجع إليه الإيمان، إذا

(١) نيل الأوطار (٣٦٠/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١٠/٧).

تاب من هذه المعاصي، فإن مات على شيءٍ منها صار تحت مشيئة الله، وصار مات على إيمانٍ ناقص، لكن معه التوحيد، ومعه الإسلام، وهو تحت مشيئة الله: إن شاء عفا الله عنه، وإن شاء عذَّبه على قدر المعاصي التي مات عليها. ثم بعدما يُطَهَّر في النار ويُمَحَّص يُخرجه الله من النار إلى الجنة، ولا يخلد في النار أبدًا إلا الكفار، المسلم العاصي لا يخلد في النار، الخلود للكفار، قد يخلد خلودًا مُؤقَّتًا له نهاية؛ لمعاصيه الكثيرة: كالزاني والقاتل، قد يخلد خلودًا له نهاية، لكن خلود الكفار لا نهايةَ له، بل أبد الآباد –نعوذ بالله–، نسأل الله العافية.(١)

٧– هل يجوز الحكم على المعين حسب ظاهره.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه. لا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: (خوفاً من أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه)(٢)، فالعلة أمر آخر لا ما زعمت، فإذا عدم ما علل به فلا حرج. لأنا نقول: هذا أدل الدليل على ما تقرر، لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى ألا يحفظ ترتيب الظواهر فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر، فالعذر فيه ظاهر واضح، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر، بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر وران على الظواهر، وقد فهم من الشرع سد هذا الباب جملة ألا ترى إلى باب الدعاوى المستند إلى أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، ولم يستثن من ذلك أحداً حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج في ذلك إلى البينة، فقال من يشهد لي؟ حتى شهد له خزيمة بن ثابت فجعلها الله شهادتين فما ظنك بآحاد الأمة، فلو ادعى أكذب الناس على أصلح الناس لكانت البينة على المدعي، واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنمط واحد، فالاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية(٣).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة:

فمن الكتاب قول الله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [سورة النساء:٩٤].

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، https://binbaz.org.sa: فتوى: ما حكم المسلم الذي يموت وهو على معصية؟

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٥٨٤).

(٣) الموافقات (٢/٢٧١).

قال الشوكاني رحمه الله: والمراد هنا: لا تقولوا لمن ألقى بيده إليكم واستسلم لست مؤمناً فالسلم والسلام كلاهما بمعنى الاستسلام، وقيل هما بمعنى الإسلام: أي لا تقولوا لمن ألقى إليكم التسليم فقال السلام عليكم: لست مؤمناً والمراد نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه ويقولوا إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية[١].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: (فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها للتثبت معنى، إلى أن يقول: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك[٢] .

ومن السنة: **أولا:** عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)[٣].

قال الإمام البغوي رحمه الله: وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون فيما بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه[٤].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أي أمر سرائرهم ... وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر[٥].

ثانيا: استدلوا أيضاً بقصة أسامة رضي الله عنه المشهورة عندما قتل الرجل المشرك بعدما قال لا إله إلا الله، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أفلا شققت عن قلبه). كما سبق.

ففيه الزجر الشديد والتحذير من الإقدام على قتل من تلفظ بالتوحيد وتحذير صريح من تجاوز الظاهر والحكم على ما في القلب دون بينة.

ثالثا: حديث جارية معاوية بن الحكم السلمي لما سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا، هو الإيمان الظاهر، وهو الإسلام، فالمسمى واحد في الأحكام الظاهرة، ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج

(١) فتح القدير (٥٠١/١).
(٢) كشف الشبهات (ص ٤٩).
(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢).
(٤) شرح السنة (٧٠/١).
(٥) فتح الباري (٧٧/١).
(٦) رواه مسلم في صحيحه رقم (٥٣٧).

المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعتقها فإنها مؤمنة) أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة، لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار، لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة(١).

وقال أيضا رحمه الله في شأن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين: (فهم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويصومون، ويحجون ويغزون والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم.. ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر، لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك، بل لما مات عبدالله بن أبي بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبدالله وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين.. لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة، لا على المحبة التي في القلوب، فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، وهو ما أظهروه من موالاة المؤمنين.. وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وههنا قاعدة يجب التنبيه عليها لعموم الحاجة إليها، وهي أن الشارع إنما قبل توبة الكافر الأصلي من كفره بالإسلام، لأنه ظاهر لا يعارضه ما هو أقوى منه، فيجب العمل به، لأنه مقتضٍ لحقن الدم والمعارض منتفٍ، فأما الزنديق فإنه قد أظهر ما يبيح دمه، فإظهاره بعد القدرة عليه التوبة والإسلام لا يدلٍ على زوال ذلك الكفر المبيح لدمه دلالة قطعية ولا ظنية، أما انتفاء القطع فظاهر، وأما انتفاء الظن فلأن الظاهر إنما يكون دليلاً صحيحاً إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه، فإذا قام دليل على الباطن لم يلتفت إلى ظاهر قد علم أن الباطن خلافه.. وإذا عرف هذا فهذا الزنديق قد قام الدليل على فساد عقيدته، وتكذيبه واستهانته بالدين، وقدحه فيه، فإظهاره الإقرار والتوبة بعد القدرة عليه ليس فيه أكثر مما كان يظهره قبل هذا(٣).

٨– حسن الظن بالله

إن المتأمل للحديث يجد أن فيه بشائر عظيمة من رب العالين جل جلاله، وهذه البشائر توجب كمال حسن الظن بالله، وهذا بخلاف ما قد يتوهمه من لم يدرك ما تضمنه الحديث من البشائر، ففي هذا الحديث أن من أخلص لله كان عاقبة أمره فلاح؛ حيث إن النبي صلى

(١) الإيمان (ص: ١٩٧).
(٢) الإيمان (ص: ١٩٨).
(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١٤٣/٣).

الله عليه وسلم أرشدنا إلى أن ما يؤول إليه أمر هذا الرجل من عاقبة كان بسبب عدم إخلاصه؛ حيث قاتل ليُذكر وأبلى ليُشكر، ولذلك أخبر عليه الصلاة والسلام أنه في النار، فما أن اشتدت به الجراح حتى قتل نفسه –والعياذ بالله–، ولو كان مخلصاً لاصطبر واحتسب كما هو حال جميع الصحابة رضي الله عنهم.

وفي الحديث من البشائر من أن أحسن العمل كان جزاؤه الإحسان من الله كما قال سبحانه: {هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ} [سورة الرحمن:٦٠].

المبحث الثاني: مسائل الإيمان بالقضاء والقدر في الحديث:

١– عدله سبحانه وتعالى ظاهر في الحديث.

الله سبحانه غني عن خلقه كما قال سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ} [سورة فاطر:١٥]. ومع غناه سبحانه عن خلقه فهو عدل حكم لا يظلم أحداً كما قال: {وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا} [سورة الكهف:٤٩]. وقد حرم الظلم على نفسه مع قدرته عليه لكن لكمال عدله حرم الظلم على نفسه كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)[1]. وفي هذا الحديث دليل ظاهر لمن تأمله أنه سبحانه عاقب صاحب القصة على مراءاته وقتله لنفسه فكما جاء في الرواية الأخرى قال عليه الصلاة والسلام (فيما يبدو للناس) وقد أخبرنا رسول الله بأن صاحب القصة من أهل النار. فمن أحسن وأتقى وأخلص أحسن الله خاتمته ومن أشرك ولم يتب كانت عاقبته خسرى.

٢– وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

يعد الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان، ونظام التوحيد، وأس العقيدة، ولا يتم إيمان المؤمن إلا بالإيمان بالقدر.

فالإيمان بالقضاء والقدر هو الإيمان بأن الله سبحانه علم ما كان وما يكون، وأنه كتب في اللوح المحفوظ كل شيء إلى يوم القيامة.

ويقتضي الإيمان بالقدر كذلك الإيمان بعموم مشيئة الرب سبحانه، وربوبيته التامة، والمستلزمة قدرته على كل شيء، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء.

وأهل السنة والجماعة مجمعون على أنّ كل شيء بقدر، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ} [سورة القمر:٤٩].

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٧٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»(١).

وقال الإمام طاووس رحمه الله: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر(٢).

ومعنى الإيمان بالقدر خيره وشره: أن الإيمان بكل ما دخل في الوجود من خير وشر هو بتقدير الله الأزلي، فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبته ورضاه، والشر من أعمال العباد بتقدير الله وخلقه وعلمه، ولكن ليس بمحبته ولا برضاه. الله خالق الخير والشرّ، لكنه يرضى الخير، ولا يرضى الشرّ. فالله تعالى خالق أفعال العباد ونيّاتهم ومشيئتهم شرّها وخيرها، قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [سورة الفرقان:٢]، وقال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [سورة القمر:٤٩].

وأول من أنكر الإيمان بالقدر معبد الجهني، وتابعه عليها غيلان الدمشقي، ثم تبنتها المعتزلة فأنكروا القدر، وأسندوا أفعال العباد إلى قدرهم، وقد رد عليهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وكفروهم بقولهم ذلك، وصنفوا المصنفات في ذلك منهم الفريابي في كتابه القدر، وعبد الله بن وهب في كتابه القدر وما ورد فيه من الآثار، والبيهقي في كتابه القضاء والقدر، وابن قيم الجوزية في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ومرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه: رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي.

جاء تفسير الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من الله سبحانه وتعالى ما رواه عبادة بن الصامت، وقد سأله ابنه الوليد بن عبادة فقال: يا أبت كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال: «تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا القدر، فإن مت على غير هذا دخلت النار»(٣).

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله قوله: «أربع من كن فيه فهو مؤمن، ومن جاء بثلاث وكتم واحدة فهو كافر، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأنه مبعوث من بعد الموت، وإيمان بالقدر خيره وشره». وهذه اللفظة ثبتت في حديث سؤال جبريل الطويل، وفيه: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٥).

(٢) رواه مالك في الموطأ برقم (٢٦١٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٥).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٧٩/٤)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٣٠٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (٨) من حديث ابن عمر عن عمر بن الخطاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والقدر يؤمن به ولا يحتج به، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب كما قال تعالى: {فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ} [سورة غافر:٥٥]. ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام، لما لام موسى آدم لأجل المصيبة، التي حصلت لهم بأكله من الشجرة، فذكر له آدم: «أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق، فحج آدم موسى» ومعاذ الله أن يحتج آدم -أو من هو دونه من المؤمنين- على المعاصي بالقدر، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود، وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان، ولم يعاقب أحد، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعا وعقلا(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا: ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله(٢).

٣- ما دل عليه الحديث من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

من المعلوم أن علماء السلف ذكروا مراتب الإيمان بالقدر فبينوا أنها أربعة:

١- الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء: وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلا وأبدا كل ما سيعمله الخلق فيما لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق والآجال.

٢- أن الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: (قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)(٣)

٣- الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأن للعباد مشيئة لكنها تحت مشيئة الله.

٤- الإيمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقة له؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال تعالى: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [سورة الصافات:٩٦].(٤)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٣٩٠/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٥٩/٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٢١/١-٢٢٦)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٩٣/٢-٢١٠).

فهذا الحديث تضمن مراتب القدر كلها أولها علم الله سبحانه بما كان وما هو كائن، فسبق الكتاب على العبد هو بعلم الله، كما تضمن الحديث ذكر مرتبة الكتابة وهي ظاهرة في قوله عليه الصلاة والسلام: (فيسبق عليه الكتاب)، فكل شيء مكتوب، ومن ذلك خاتمة كل إنسان، وتضمن الحديث ذكر مرتبة الخلق، فالله خالق كل شيء وأفعال العباد مخلوقة، وتضمن الحديث ذكر مرتبة الإرادة والمشيئة الكونية والقدرية، فالله يفعل ما شاء، فيدخل خلقاً النار بعدله ويدخل أهل الإيمان جنته بفضله، وللعباد مشيئة وإرادة لكنها تحت مشيئة الله، كما قال سبحانه: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [سورة الإنسان:٣٠].

٤- هل يعني الحديث ترك العمل.

إن هذا الحديث يحثنا على العمل الصالح والإخلاص فيه، فمعرفة المسلم أن الأعمال بالخواتيم ترشده إلى إصلاح السريرة، والاجتهاد في الثبات على الخير، والثقة بالله والتوكل عليه وحسن الظن به، وأنه لا يضيع سبحانه أجر من أحسن عملا.

الخاتمة:

وبعد دراسة هذا الحديث الشريف العظيم يتسنى لي أن أختم هذا البحث العلمي بجمل أوجز فيها ما توصلت إليه من نتائج وما سأوصي به من توصيات علمية وألخص هذا كله فيما يلي:

النتائج:

١- حديث سبق الكتاب حديث صحيح رواه الشيخان، ولهذا الحديث روايات كثيرة وألفاظ رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد.

٢- بجمع روايات الحديث وألفاظه يكتمل شرح معانيه وجمله، مما ييسر لكل مسلم قرأ البحث بإذن الله فهم الحديث فهماً صحيحاً، يزيل كل إشكال قد يطرأ عند من لم يقرأ كلام أهل العلم الذين شرحوا قبلي هذا الحديث.

٣- هذا الحديث تضمن الإرشاد لقواعد مهمة في الإيمان بالقضاء والقدر.

٤- لهذا الحديث أثر بالغ في ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

٥- هذا الحديث له أثر بالغ في إصلاح السريرة من حسن الظن، بالله وصدق التوكل عليه وصدق الإخلاص له.

٦- هذا الحديث يحض المسلم على عمل الصالحات والثبات على طريق رضوان الله سبحانه.

٧- هذا الحديث يبين إخلاص الصحابة لله سبحانه وتسليمهم للوحي وكمال تصديقهم للنبي صلى الله عليه وسلم وصدقهم مع النبي صلى لله عليه وسلم.

التوصيات:

١- دراسة كل حديث يتضمن بيان مسألة عقدية، وهذا بلا ريب يؤصل لدى المسلم معرفة العقيدة الإسلامية بأدلتها مما يصونه عن تلقي الشبهات أو إتباعها.

٢- هذا الحديث تضمن بيان مسائل مهمة في الاعتقاد، أشرت إليها إجمالاً ولم أبحثها على وجه التفصيل؛حتى لا يطول البحث،ثم إن بعض تلك المسائل لابد من إفرادها ببحوث خاصة.

٣- مسائل الإيمان بالقضاء والقدر وبيان مذهب السلف فيها جانب مهم من العقيدة، يجب أن يعتنى به من خلال البحوث الأكاديمية في علم الحديث النبوي؛ لتأسيس تأصيل علمي لكل طالب للعلم.

٤- هذا الحديث الذي بحثت مسائله فيه جوانب لغوية بلاغية وغيرها ينبغي دراستها.

٥- هذا الحديث يتضمن جملاً وعظية ذات تأثير بالغ في إصلاح السرائر يمكن للواعظين الإفادة منها.

فهرس المصادر والمراجع:

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠ه)، المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ ه- ١٩٩٩م.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

٥- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٦- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ-١٩٨٦م

٧- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن أحمد بن حسين، برهان الدين ابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي (المتوفى: ١١٢٠هـ)، المحقق: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي – بيروت.

٨- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ه)، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ووضع حواشيها: الشيخ محمود محمد خليل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

٩- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١: ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.
١٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م (في مجلد واحد)
١١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ه)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٣- سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣ه)، كتب حواشيه: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي
١٤- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (٢٧٩ ه)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر : ١٩٩٨ م
١٥- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧،
١٦- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م
١٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٨- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

١٩- شرح الشفا، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ه

٢٠- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ

٢١- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ه

٢٢- شرح صحيح مسلم للسيوطي = الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٣- شرح صحيح مسلم للنووي = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٢٤- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة

٢٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)، المكتب الإسلامي

٢٦- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ه)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م

٢٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٢٩- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ه
٣٠- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م
٣١- القضاء والقدر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ه)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م
٣٢- كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، سنة النشر:
٣٤- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ه- ١٩٨٦م.
٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.
٣٦- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٧- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
٣٨- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧ه)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ه - ١٩٨٤م.

٣٩- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة- القاهرة.

٤٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، دار القبلة – جدة – السعودية، مؤسسة علوم القرآن – دمشق – سوريا، المحقق: محمد عوامة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.

٤٢- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ-١٩٣٢م

٤٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية

٤٤- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

٤٥- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦ ه)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، الطبعة الأولى، ١٤١٧ ه – ١٩٩٦ م

٤٦- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)، الموطأ بأعلى الصفحة، يليه – مفصولا بفاصل – شرح الباجي

٤٧- المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤ه)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – الطبعة: الثانية.

٤٨- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

٤٩- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ-١٩٨٥م.

٥٠- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ه)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ه - ١٩٩٣م.

٥١- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز -رحمه الله-: https://binbaz.org.sa